

مقياس حضارات أمريكا اللاتينية

الدرس السابع: أسباب سقوط حضارة المايا

أولاً: اسباب داخلية

- من ابرز واهم الاسباب التي ادت الى انهيار حضارة شعوب المايا هو التغيرات المناخية وموجات الجفاف التي حلت على تلك الحضارة، فالتدهور البيئي وتغير المناخ وحدث ذلك الجفاف ادى الى ظهور المجاعات، وان قلة سقوط الامطار لفترات طويلة ادى الى انهيار الموارد الطبيعية التي تعتمد عليها شعوب المايا، وبذلك فان الظروف الاستوائية ونقص المياه السطحية والانهار والبحيرات غير دائمة الجريان ادى الى الجفاف الشديد ونضوب للموارد الطبيعية مما ساهم في انهيار حضارة المايا.¹
- وقد اوضحت الدراسات العلمية ان موجة جفاف شديدة استمرت حوالي 200 عام وانخفضت نسبة هطول الامطار التي وصلت ما بين 25 و40 بالمئة من الامطار السنوية وقد وجد الباحثون ادلة على ان فترة طويلة من الجفاف ادت الى حدوث اثار مدمرة على حضارة المايا وتعود اسباب ذلك الجفاف الى تغيرات في حركة دوران الغلاف الجوي وكذلك الى الاعاصير المدارية وازالة الغابات وتصحر التربة، فاغلب العلماء يقولون ان اختفاء حضارة المايا كان نتيجة لقرن كامل من الجفاف فالحضارة لم تتمكن من الاستمرار بدون ماء كافي.²
- كان شعب المايا جنسا قلقا لا يستقر له قرار، اذ طالما هجروا مدنهم،³ ولم تثبت مدنهم في مكان واحد، اذ هاجر سكان مدنهم ليذهبوا ويبنوا مدن اخرى في اراض جديدة وذلك يعود الى ان الزراعة في الارض المحرقة تستلزم الاحراج والسباسب ويستحيل من ثم متابعتها اكثر من خمس سنوات في مكان واحد، لاسيما وان العشب يغزو الحقول ويخنق الذرة الصفراء النامية لذلك يقتضي استبدال الحقل قبل استنفاذ طاقته الانتاجية، فعندما تصبح اراضي المدينة غير صالحة للزراعة يتوجب نقل المدينة الى مكان اخر، زد على ذلك ان الموتى يدفنون في البيوت والمايا يخشون الموتى ويغادرون بيوتهم بعد وقت معين.⁴ وفي الفترة الممتدة من

¹ Climate and the collapse of Maya Gramsci. Org. American Scientist. Volume 93..2005 P-p322-324.-
civilization and Geralo H.HAUG, Reproduction with permission only. Contact perms: Larryc. Peterson

² - ب. رادين: الحضارات الهندية في أمريكا (الازتيك- المايا- الانكا)، تر. يوسف شلب الشام، ط1، سورية، 1989، ص136.

³ - رولان مونييه وارنست لا بروس: تاريخ الحضارات العام (القرنان السادس عشر والسابع عشر)، تر. يوسف اسعد داغر وفريد داغر، منشورات عويدات، ط2، بيروت/ باريس، 1987، ج4، ص ص465-457.

⁴ - ب. رادين: المرجع السابق، ص136.

حوالي 600م الى 980م كانت مدن المايا قد هجرت ونجم عن ذلك هجرة نحو الشمال¹، وتخلت المايا الجنوبية عن مدنهم، وعندما تم دمج شمال المايا في مجتمع التولتك بحلول عام 1200م انتهت سلالة المايا ولكن بعض المراكز الطرفية استمرت في الازدهار حتى الغزو الاسباني.²

- كما ان سقوط الحضارة يرجع الى العوامل الاقتصادية الداخلية فقد ركزوا اهتمامهم في مجال الفنون والعلوم وحققوا تفوقا كبيرا في هاتين الناحيتين واهملوا نظم الاقتصاد والزراعة، الى ان انتهى بهم الامر الى عجزهم عن سد حاجات السكان الذين ازداد عددهم.³

- ومما ادى الى سقوط حضارة المايا الامراض والابوئة التي حلت على شعب المايا كمرض الملاريا ومرض الجدري وكذلك الطاعون الذي فتك بالسكان في سنة 1480م ولم يتمكنوا من علاج تلك الابوئة التي انتشرت مما ادى الى مقتل عدد كبير من السكان.⁴

- ويعود السبب الرئيسي لانتهاء حضارة المايا العريقة هو وصول الاسبان لتلك المنطقة، كما ساهمت الامراض والابوئة المنتشرة بين السكان وكذلك التدهور البيئي والجفاف والتغيرات المناخية والاعاصير التي ضربت المنطقة والضعف الدفاعي، كل هذا ادى الى اضعاف حضارة المايا من ثقل تلك المصائب التي حلت عليهم، ومازالت هذه المناطق تتعرض للسرقة والنهب وتهريب الاحجار الاثرية والانقاض القديمة لبناء دور جديدة.⁵

¹ - Hamouid saber -Nadjah Mazouz: Maya civilization, prepared with a view to get a state diploma, superviserz: FRITAH NOR Eddine , Section Technial English ,University of Hadj Lakhdar –BATNA, 2014/2015, P 26.

² - the secret of Maya civilization.

³ - رالف لنتون: شجرة الحضارة، تر. احمد فخري، تق. احمد زكريا الشلق، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 2010، ج3، ص398.

⁴ - رولان موسنيه وارنست لايروس: المرجع السابق، ص458.

⁵ - رؤى ديب: حضارات امريكا القديمة، اشراف: ربا احمد، المركز الوطني للمتميزين، الصف العاشر، 2015/2014.

ثانيا - اسباب خارجية

- كانت شعوب همجية تضغط عليهم من كل الجهات وتهاجمهم عند كل فرصة تسمح لها وتمتعهم شيئا فشيئا، وكان المايا اقل من غيرهم كفاءة في مجال الدفاع والحروب وذلك لتقدمهم في مجال الفن والعلوم، فان حضارتهم كانت تشكو من الوحدة والترابط السياسي¹،
- وفي القرن الثاني عشر ميلادي تعرضت امبراطورية المايا الى غزو قامت به قبائل رحل من شعب التولتك الذين اضطرهم توسع امبراطورية الازتك الى الرحيل عن مواطنهم وشقوا طريقهم بالقوة متجهين نحو الجنوب الى منطقة المايا.²
- مع قدوم الاسبان وغزوهم لحضارة المايا في منتصف القرن السادس عشر عملوا وبدافع الجهل والتعصب الديني على محو الكثير من تراث ومعارف المايا، فقد قاموا بإحراق العديد من مخطوطاتهم في التراث والتاريخ والفلك والرياضيات ولم ينج الا القليل الذي ارسل الى اروبا كتحف نادرة، وهناك مخطوطة في مدينة دوسن تعد ابرز ما سلم من كتب المايا؛³ وقد انطفأ بريق الحضارة منذ اكثر من نصف قرن عندما بدا الإسبانيين بعملهم التخريبي المشؤوم.⁴ كان الغزاة الاسبان اكثر تعطشا للدماء وحكموا على من يمارس طقوس حضارة المايا بالانحراف الشيطاني، وبادروا إلى النهب والتخريب وقضى هؤلاء الاسبان على انماط من الحياة والتفكير.⁵

- كانت مدينة المايا في حالة تدهور عندما حدث الغزو الاسباني وكان الناس يعيشون في قرى او بيت بقايا مدنهم القديمة، وكانت مدن الامبراطورية القديمة مثل "بالينك" قد هجرها اهلها منذ وقت طويل واختفت بين اشجار الغابات النامية وعند الغزو الاسباني اول ما استهدفه الغزاة الاسبان هو محو العلم واهله، ولهذا سارعوا بعد الغزو بالقضاء على تلك الجماعة الصغيرة من المتعلمين الذين كانوا يصونون هذه المعرفة، وقد جمع "دييجو دي لاند" مطران يوقاطان في عام 1562م مئات الكتب من التاريخ والفلك والرياضيات واحرقها في الميدان في بلدة

1- ب. رادين: المرجع السابق، ص136.

2 - رالف لنتون: المرجع السابق ، ص398.

3 - بنهام ابو الصوف: حضارات المايا والازتك والانكا في امريكا الوسطى والجنوبية، موقع الاثار العراقي، 11مارس2019.

4 - ب. رادين: المرجع السابق، ص62.

5 - جون ماكليش: من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر، تر. خضر الاحمد واخرون، مر. عطية عاشور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 1999، ص 146.

"مريدا" ولم يضل باقيا من مكتبتهم الا تلك المجلدات القليلة التي ارسلوها لأروبا كتحف نادرة.¹

- عندما وصل الاوربيون وجدوا ان القرى الامريكية تجيد صنع الملح وفي عام 1541م دون المكتشف الاسباني هيرنا ندو دو سوتو ملاحظات عن رحلته عبر الميسيسيبي واورد: "ان الملح يصنع في القرى المحاذية للنهر، فعندما ينخفض منسوب المياه تترك ملحا على الرمال ويرمي الاهالي تلك الرمال في سلال معدة لتلك الغاية فهي واسعة الفم وضيقة القعر، وتعلق السلال في الهواء في طرف عارضة خشب وتنفذ بالماء، وتوضع اوان تحت السلال ليجتمع فيها ذلك الماء، بعد مروره في الرمل المالح، ثم تغلى الواني فتتبخر المياه ويبقى الملح في القعر." فامسك الاسبان بالسلطة من خلال الاستيلاء على ورش الملح عند السكان الاصليين.²

- يعود انتاج قبائل المايا للملح الى ما قبل الميلاد بنحو الف عام، وعثر على اثار ورش انشئت في وقت مبكر في مناطق مكسيكية مثل: أوساكا التي لم تسكنها المايا، وقد ازدهرت حضارة المايا وصعدت من خلال سيطرتها على انتاج الملح وتقدمها في تجارته على الرغم من الحروب للسيطرة على مصادره، وعند وصول الاوربيين شرعت الحضارة في الانحدار ولعب فقدانها السيطرة على تجارة الملح دورا مهما في تحطيمها.³

- ادى وصول الاسبان الى سيطرة قوة جديدة على الملح مع زيادة هائلة في الطلب عليه، ادخل الاسبان قطعانا من الماشية تحتاج الى الملح في طعامها وكذلك تستعمل جلودها في التجارة المزدهرة.⁴

1 - رالف لنتون: المرجع السابق، ص399.

2 - مارك كير لانسكي: تاريخ الملح في العالم، تر. احمد حسن مغربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، اكتوبر 2005، ص157.

3 - مارك كير لانسكي: المرجع السابق، ص160.

4 - نفسه، ص161.

ثالثاً- مراحل السقوط وابرز نتائجه

1- مرحلة ما قبل الغزو الاسباني

بدا انحلال حضارة المايا ما بين 750 و900 ميلادي عندما اختفت المراكز الدينية لحضارة المايا وتراجعت مراكز المايا الموجودة بالأراضي الجنوبية المنخفضة وتمت هجرتها، كما صاحب هذا التوقف في العمران واعمال النقش الاثرية، ولا يوجد تفسير لكل هذا الانهيار، ويمكن ان تكون الاسباب في زيادة العدد السكاني والغزوات الخارجية وثورة الفلاحين ضد تسلط النبلاء والكهنة؛ وانهيار الطرق التجارية وتوقف الازدهار الاقتصادي والثقافي فجأة، وهناك ادلة تدل على انحلال المايا الكلاسيكية بان سكان المايا استهلكوا المقدرات البيئية مثل استنفاد الامكانات الزراعية وفرط صيد الحيوانات مما ادى بهم الى حلول الكوارث البيئية عليهم ومن اخطرها الجفاف الذي حل على هذه الحضارة.¹

لقد تم هجر كامل المنطقة الوسطى من اراضي حضارة المايا مع نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، حيث كانت توجد اهم مدنهم تيكال وكوبان وبالينك؛ اما في مناطق اوكسمال والشمال عموما فقد استمرت حضارة المايا الى نهاية القرن العاشر ميلادي عندما اجتاحوا المكسيكيون هذه المنطقة.²

¹ -www.sara.com، 55:13،30/03/2019

² - موسى ديب الخوري : المايا "اكتشاف حضارة عريقة" ، ص92.

2- فترة الاستعمار الاسباني

يعتبر فرانسيسكو أرنانديث دي كوردبا أول اسباني طاف بساحل شبه جزيرة يوكاتان عام 1517م، وأدرك وجود إمبراطورية كبيرة للهنود هناك¹، وبعد وقت قصير من البعثات الاستكشافية الأولى للمنطقة بدأ الإسبان بعد محاولات لإخضاع شعب المايا الذين كانوا معادين للتاج الاسباني وأقاموا المستعمرات في شبه جزيرة يوكاتان ومرتفعات غواتيمالا²، وقادت قبائل المايا ولمدة ثمانية أعوام هجمات ومقاومات لصد مهاجميها لكن بعد فترة وجيزة ضعفت المقاومة على الرغم من استمرارهم في القتال ببسالة، إلا أن الإسبان أثناء غزوه هذه المنطقة وجدوا أيداً مساعدة من الهنود الذين تحالفوا معهم وبواسطتهم تم إخضاع المايا شيئاً فشيئاً³، وعلى عكس إمبراطوريتي الأزتك والانكا لم يكن للمايا أي مركز سياسي من شأنه الدفاع عنها عندما يطاح بهم، وكان دافع الغزاة جني الثروة الكبيرة عن طريق الاستيلاء على موارد المعادن الثمينة كالذهب والفضة لكن أراضي المايا كانت فقيرة لهذه الموارد وكان الذي جذبهم تلك التقارير التي تقول أن وسط المكسيك غنية بالثروات⁴، وقام الإسبان بقتل الأهالي بشكل مخز واستخدموا كافة وسائل التنكيل والتعذيب لإخضاعهم، وبعد أن عزل قادتهم وقتل كهنتهم ومنعت ديانتهم وأحرقت كتبهم انطفأت حضارتهم، وخلال بضعة سنوات أباد البيض بوحشية ودون شفقة ما لم تستطع قرون من الحروب الأهلية ومن الوباء ومن المجاعات أن تفنيه⁵.

¹ - أوخينيو تشانج رودريجت: ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، تر. عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد، المجلس القومي للثقافة، القاهرة، 1997، ص88.

² - www. Sara .com. op. Cite

³ - موسى ديب الخوري: المرجع السابق، ص 49.

⁴ - www. Sara .com. op. Cite

⁵ - موسى ديب الخوري: المرجع السابق، ص 49.

3- نتائج السقوط

- اتلاف وتخريب المحتويات الاثرية وحرق جميع النقوش المكتوبة وكتب المايا ومخطوطاتهم التي عثروا عليها زاعمين انها اعمال شيطانية ومخالفة للدين المسيحي ويجب التخلص منها بتخليص اولئك المتخلفين الهمجيين من جهالة الخطأ، وبرز ما بقي من كتبهم مخطوط درسدن الذي يبحث في الرياضيات والفلك.¹
- تمكن الاسبان من محو العلم واهله خلال القضاء على جماعة المتعلمين الذين كانوا يمثلون الطبقة المثقفة وتدمير ذاكرة الحضارة لشعب بكامله.²
- خراب وضياع مدن المايا الكبيرة التي ضاعت وسط غابات يوكاتان الكثيفة النامية.³
- نشر الاسبان مع قدومهم العديد من الاوبئة والامراض في المنطقة مثل: مرض الجدري ومرض الطاعون والانفلونزا.⁴ (عفانا الله واياكم)
- نشر المسيحية في المنطقة وادمج الهنود بالإسبان منذ القرن السادس عشر ميلادي.⁵

¹- رالف لينتون: المرجع السابق، ص397.

² - رولان موسنيه وارنست لابروس: المرجع السابق، ص498.

³ - ارنولد توينبي: مختصر دراسة التاريخ، تر. فؤاد محمد شبل، مر. محمد شفيق غربال، نق. عبادة كحيلة، المركز القومي للترجمة، القاهرة،

2011، ج1، ص57.

⁴ - رولان موسنيه وارنست لابروس: المرجع السابق، ص459.

⁵ - موسى ديب الخوري: المرجع السابق، ص99.

